عن الكلام فهو ناقص قبيح واما الذي يلزمه الكلام ولا يتعلق بمشيئته واختياره فانه يكون
ايضا عاجزا ناقصا كالذي يصوت بغير اختياره كالاصوات الدائمة التي تلزم الجمادات بغير
اختيارها مثل النواعير ولما اقام الحجة بتكليم الله تعالى موسى وانه تكلم ويتكلم وان ذلك ممكن
من غير حاجة الى جوف وفم وشفتين ولسان اذ كان من المخلوقات ما يتكلم وينطقها الله تعالى
بدون حاجة الى ذلك فالخالق سبحانه اولى بالغنى من المخلوقات اذ كل ما ثبت للمخلوق
من صفة كمال كالغنى فالله تعالى اولى به فانه احق بالاستغناء عما استغنت عنه المخلوقات
في كلامها ذكر ان الجهمي لما خنقته الحجة قال ان الله كلم موسى الا ان كلامه غيره فقلنا غيره مخلوق قال
نعم فقلنا هذا مثل قولكم الاول الا انكم تدفعون الشنعة عن انفسكم بما تظهرون فاحمد رحمه
الله تعالى لم ينكر عليه اطلاق لفظ الغير على القرآن حتى يستفسر ما اراد به اذ لفظ الغير
مجمل يراد به الذي يفارق الآخر وهو قولهم انه مخلوق ويراد به ما لا يكون هو اياه وهذا
بين ان اطلاق القول على الصفة بانها هي الموصوف او غيره كلام مجمل يقبل بوجه ويرد
بوجه فمتى اريد بالغير المباينة للرب كان المعنى فاسدا وانما ذكر هذا لان اهل البدع
وصفهم به يتمسكون بالمتشابه من الكلام ولفظ الغير من المتشابه فاذا قال هو غيره فقيل له
نعم لانه ليس هو اياه قال وما كان غير الله فهو مخلوق وغير في هذا الموضع الثاني
انما يصح اذا اريد به ما كان باينا عن الله تعالى فهو مخلوق فيستعمل لفظ الغير في احدى
المقدمتين بمعنى وفي المقدمة الاخرى بمعنى اخر لما فيها من الاجمال والاشتراك فلهذا
استفسر الامام احمد فلما فسر مراده قال فهذا هو القول الاول متى قلت هو مخلوق
فقد قلت بانه خلق شيئا فعبر عنه وانه لا تكلم ولا يتكلم ثم احتج عليهم بما دل عليه القرآن من
تكلمه في الآخرة وخطابه للرسل فلما اقروا بنفي التكلم عنه ازلا وابدا ولم يفسروا ذلك
الا بخلق الكلام في غيره قال فقد اعظمتم الفرية على الله حين زعمتم ان الله تعالى لا يتكلم
فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله لان الاصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول
من مكان الى مكان وهذه الحجة من باب قياس الاولى وهي من جنس الامثال التي ضربها
الله في كتابه فان الله تعالى عاب الاصنام بانها لا ترجع قولا وانها لا تملك ضرا ولا
نفعا وهذا من المعلوم ببدائه العقول ان كون الشيء لا يقدر على التكلم صفة نقص

بلغ

واه

وانه المتكلم الكامل من العاجز عن الكلام وكل ما تنزه المخلوق عنه من صفة نقص فالله تعالى احق
بتنزيهه عنه وكلما ثبت لشيء من صفة كمال فالله تعالى احق باتصافه بذلك فالله
احق بتنزيهه عن كونه لا يتكلم من الاحياء الآدميين واحق بالكلام منهم وهو سبحانه
منزه عن مماثلة الناقصين المعدوم والموات واما قول احمد فلما ظهرت عليه الحجة قال
انه قد تكلم ولكن كلامه مخلوق فقلنا وكذلك بنو ادم كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله تعالى
بخلقه حين زعمتم ان كلامه مخلوق ففي مذهبكم ان الله قد كان في وقت من الاوقات لا
يتكلم حتى خلق التكلم وكذلك بنو ادم لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما فقد جمعتم بين كفر و
تشبيه فتعالى الله جل ثناؤه عن هذه الصفة بل نقول ان الله جل ثناؤه لم يزل
متكلما اذا شاء ولا نقول انه قد كان ولا يتكلم حتى خلق ولا نقول انه قد كان لا يعلم حتى
خلق فعلم ولا نقول انه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ولا نقول انه قد كان ولا نور
له حتى خلق لنفسه نورا ولا نقول انه قد كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة فهذا يدل على
ان هذا القول اراد به الجهمي انه قد يتكلم بعد ان لم يكن متكلما بكلام مخلوق يخلقه لنفسه في ذاته
او يخلقه قائما بنفسه لكون هذا القول غير الاول الذي قال انه يخلق شيئا فيعبر عن الله
تعالى وقال انكم شبهتموه بالاصنام التي لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان الى مكان ثم
انتقل الجهمي عن ذلك القول الى هذا القول وقال احمد في الجواب فقلنا وكذلك بنو ادم
كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله تعالى بخلقه حين زعمتم ان كلامه مخلوق ففي مذهبكم ان الله
قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم وكذلك بنو ادم لا يتكلمون حتى
خلق لهم كلاما فقد جمعتم بين كفر وتشبيه الى اخر كلامه ففي هذا كله دليل على انه انكر عليهم
كونه كان لا يتكلم حتى خلق لنفسه كلاما في نفسه فصار حينئذ متكلما بعد ان لم
يكن متكلما وبين ان ذلك يستلزم انه كان ناقصا فصار كاملا لان عدم التكلم صفة
نقص وهذا هو الكفر فان وصف الله بالنقص كفر وفيه تشبيه له بمن كان ناقصا
عاجزا عن الكلام حتى خلق له الكلام ولهذا قال بل نقول انه لم يزل متكلما اذا شاء
فبين ان كونه موصوفا بالتكلم اذا شاء امر لم يزل لا يجوز ان يكون ذلك محدثا لانه

Copyright © King Saud University